مجلة دراسات موصلية

مجلة دورية علمية محكمة ، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية

ISSN. 1815-8854

تاريخ استلام البحث: ٢٦/ ٨ /٢٠٢٠ تاريخ قبول النشر ٤/١٠/٢٠٢٠

تطور اسواق الموصل في العصر العباسي

١٣٢ –٢٢٧هـ /٧٤٩–٨٤١م

The Development of Mosul Market in the Abbasside period (132-227 A.H./ 749-841 A.D.)

أ. د. طه خضر عبيد

قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة الموصل

Prof. Dr. Taha Khudir Ubaid

Department of History

College of Education for Humanities

University of Mosul

ISSN. 1815-8854

الملخص

حظيت مدينة الموصل منذ البداية باهتمام الخلافة العباسية، وعدت احد الاقاليم المهمة من الناحية السياسية والاقتصادية، وكان لها الفضل في اختيار موقع بغداد عاصمة الخلافة العباسية، واهتم بها الخلفاء والولاة اهتماما بالغا، وشهدت الموصل ازدهارا اقتصاديا كبيرا، وكان لازدهار زراعتها وصناعتها وتجارتها اهمية في تطورها.

ويسعى البحث الى القاء الضوء في جانب غاية في الاهمية الاقتصادية التي مرت بها مدينة الموصل ونواحيها، ومثل ذلك التطور الواضح في اسواقها مكانيا واقتصاديا، واثره في ازدهار حياتها الاقتصادية الذي تناسق مع كبر حجم المدينة في تركيبها وخدماتها، وكثرة سكانها، فضلا عن اهمية وقوعها على الطرق التجارية، وارتفاع مستوى المعيشة فيها، فاتسمت المدينة برخص اسعار السلع وتوافرها، وتعدد انواع اسواقها الثابتة والموسمية.

Abstract

From the early beginning , Mosul received the attention of the Abbasid Caliphate , and it was regarded one of the most important provinces from the political and economic perspectives. It had a great credit in selecting the location of Baghdad as the capital of the Abbasside Caliphate. In fact, caliphates and rulers paid a great attention to Mosul. Mosul witnessed a big economic prosperity. Such a prosperity in agriculture m industry and trade played a significant role in its development.

This research attempts to shed light on the economic importance of Mosul. This development in its markets on the locational and economic levels was clear , a development which contributed in the flowering of its economic life and which was harmonious which the multitude , structure , and the services of the city. in addition to its great population.It was located at the trade routes.Mosul was marked by the cheapness of it , prices , the abundance of its markets , and the different sorts of its static and seasonal markets.

المقدمة

تواجه الدراسات الاقتصادية في العصور الاسلامية الأولى، ومنها العصر العباسي الأول، مصاعب جمة، يأتي في مقدمتها، قلة المعلومات الاقتصادية وتناثرها في بطون الكتب

وعزوف كثير من المؤرخين والبلدانين عن الاستطراد في تلك المواضيع، وتركيزهم على الجوانب السياسية بشكل رئيس.

ويسعى البحث الى القاء الضوء في جانب غاية في الأهمية الاقتصادية التي مرت بها مدينة الموصل وأسواقها،والمتغيرات والتطورات التي حصلت فيها مكانيا واقتصاديا، وآثرها في ازدهار الحياة الاقتصادية في المدينة.

ISSN. 1815-8854

أولاً: الأوضاع السياسية والاقتصادية في الموصل

١- السياسية :

كان انتقال الخلافة من الأمويين الى العباسيين في عام ١٣٢هـ/٧٤٩م،قد حول الموصل الى ولاية مستقلة عن إقليم الجزيرة،وبذلك ضمت الموصل رساتيق ونواحي عديدة،إلا أنها لم تكن ثابتة الحدود الإدارية طيلة تلك المدة، وعين أول وال عباسي عليها وهو محمد بن صول سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م (الطبري،١٩٧٩، ج/١، ص، ٩٤؛ الازدي، ١٩٧٦، ص١٥٢).

واتسمت السنوات الأولى من الخلافة العباسيين بالعمل على تثبيت أركان السلطة واقرار الأمن في إقليمها،ومنها الموصل،التي عدت احد تلك الأقاليم المهمة من الناحية السياسية والاقتصادية،وكان للموصل الفضل في اختيار موقع بغداد عاصمة الدولة الجديدة سنة ١٤٥هـ/٧٦٣م، لتصبح عاصمة العباسيين وحضارة الإسلام. وانعكس ذلك لاحقا على الموصل في ازدهار حياتها الاقتصادية، مما رفع شان الموصل كثيرا لقربها من العواصم العباسية بغداد أولا وسامراء سنة ٢١٨هـ/٨٣١م ثانياً، ووقوع الموصل على أهم الطرق البرية الرئيسة التي ربطت الأقاليم المهمة، الجزيرة والشام والثغور، (الطبري، ١٩٧٩، ج/، ص٢٤٠، ٢٨٠، ج/١٠، ٧١-٧٢) وعن اهمية موقع الموصل واثره في اختيار موقع بغداد،(الازدي، ١٩٧٦،ص١٥٧؛ ابن الفقيه، ١٩٠٦،).

حظيت مدينة الموصل بعناية كبيرة من خلفاء بني العباس ومن ذلك تعيين الولاة الأكفاء عليها، وكان عدد منهم من أفراد البيت العباسي والآخرين من الولاة المخلصين بالولاء والكفاءة طيلة العصر العباسي الأول، وعن الطرق البرية بالموصل (البلاذري،١٩٥٧، ٣٣٩؛ الطبري، ١٩٧٩، ج/٩، ٢٤٩؛ قدامة بن جعفر، ١٩٨١، ١٧٥). فضلا عن تتبع الخلفاء أنفسهم لأحوال الموصل وأشرافهم على سياسة الولاة الإدارية والاقتصادية (عبيد، ٢٠٠٢، ص٤٧-٦٣) وان هناك ٠١٣(١٣) واليا عباسيا من مجموع (٤١) واليا طيلة العصر العباسي الاول (عبيد، ٢٠٠٢، ٥٤؛الازدي، ١٩٧٦، ص ٤٩٤). وتوفير كل مستلزمات العناية والسعي الى تطوير المدينة مما أدى الى ازدهارها الحضاري الذي اكسب المدينة أهمية فاقت تلك المكانة في العصرين الراشدي والأموي، وعن تتبع الخلفاء ((الطبري، ١٩٧٩، ج/ ٩،ص٧٩-٨٣، ١٨٠، ٣٤٢-٣٤٤، ١٠/ ٧١). ويأتي وصف(ابن حوقل، ١٩٨١، ١٩٥)وهناك دراسة عن الموص في العصر الاموي(عبد الماجود، ١٩٨٦)، لها وصفا دقيقا بقوله "كانت من عظم الشأن،بصورة أكابر البلدان "،وهذه العناية كلها لا تنفي أن تكون الموصل قد تعرضت في العصر العباسي الأول الى اضطرابات وشهدت مصاعب مؤقتة،أثرت في أوضاعها الاقتصادية لمدة قصيرة،وجاء في مقدمة ذلك، إساءة قلة من ولاتها لها، وسجلت المصادر التاريخية ما كان قد حدث في السنوات الأولى من خلافة العباسيين وبخاصة إساءة واليها محمد بن صول، الذي لم يرض عنه أهل الموصل لأنه كان مولى لخثم، فعمت الفوضى وأصابها الخراب وطالها التدمير، وتعرضت أسواقها للنهب والسلب والخراب ودام ذلك ثلاث سنوات متواصلة من الكساد (ابن حوقل، ١٩٨١، ١٩٥) ' الى أن ولي أمرها إسماعيل بن علي العباسي سنة ١٣٥هـ/٧٥٣م،فأعاد الى الموصل بناءها وعمر أسواقها وأحسن السيرة في أهلها،وعمر ما خرب من عماراتها، واعدل بين

ISSN. 1815-8854

الناس، فاستعادت الموصل عافيتها وعاشت بأوضاع حسنة،وقد تكررت المشكلة مرة أخرى عندما حصلت الفتنة بين الأمين والمأمون وحدثت وقعة الميدان في الموصل سنة ١٩٨هـ/٨١٣م (الازدي، ١٩٧٦، ص، ١٣٢، ٢١٧، ٢٨٧، ٢٩٢) .

أما المصيبة الأخرى التي أعاقت ازدهار الموصل الاقتصادية،فكان مصدرها حركات الخوارج المتقطعة والتي نشرت الفوضى وأضرت بالناس،فتعرضت أسواق الموصل للسلب والنهب والخراب، وانعدام الأمن وتهددت التجارة وطرقها، ولم تستقر الأوضاع إلا بعد إخماد تلك الحركات والقضاء عليها، وكان من نتائجها العامة، عدم الاستقرار وسوء الحالة الاقتصادية، وقلة الحاصلات الزراعية، واضطراب الأحوال وصعوبة حركة التجارة وقوافلهم من والى المدينة (الازدي، ١٩٧٦،ص ١٥٣؛ الطبري، ١٩٧٩،ج/٩، ص١٤٠).

٢- الأوضاع الاقتصادية :

كانت الموصل من المدن المهمة اقتصاديا طيلة العصر الاموي٤١ــ ١٣٢هـ/٦٦١_٧٤٩م، واستمرت كذلك في بداية العصر العباسي،وشهدت ازدهارا اقتصاديا فيما بعد، واتسعت المدينة، واستقر الناس فيها، واقطع الخلفاء قادة القبائل فيها أقطاعات من الأراضي الزراعية في داخل المدينة وخارجها (وعن حركات الخوارج ينظر : السامرائي واخرون، ٤٤،١٩٨٨-٥١). وأخذت المدينة تجذب الناس إليها من الأقاليم المجاورة، بفضل موقعها الجيد، وازدهار الحياة الاقتصادية فيها(الازدي، ١٩٧٦، ص، ١٥٨،١٥٩، ١٧١-١٧٢)

ولأن الموصل أوصلت بين الجزيرة والشام ودجلة والفرات والثغور،فقد أصبحت فرضة للأقاليم المجاورة لها من أذربيجان وأرمينية والران(ابن حوقل، ١٩٨١، ١٩٥)، فكانت بحق بوابة الى تلك الأقاليم المتنوعة اقتصاديا وطبيعا، وجاء غناها الاقتصادي، بما انعم الله عليها من خيرات وفيرة، ومناخ معتدل وتربة خصبة، وارض سهلية زراعية صالحة في رساتيقها ونواحيها التابعة لها، فضلا عن توافر مياه الري من دجلة وروافده والعيون والآبار القريبة منها، وسقوط الأمطار الوفيرة عليها، فعدت من الأقاليم المزدهرة اقتصاديا(ابن الفقيه، ١٩٠٦، ١٢٦-١٢٧؛ ابن حوقل، ١٩٨١،ص١٩٥؛ ياقوت الحموي،د.ت. مجلد /٥، ص٢٢٣. ومما زاد في ازدهارها الاقتصادي، إنسانها النشيط المثابر، صاحب الخبرة والارث المتراكم من العصور السابقة الآشورية والإسلامية في العصرين ألراشدي والأموي . ومهارة ذلك الإنسان وحبه للعمل، فقد حرك النشاط الاقتصادي نحو الأفضل في الموصل.

لا شك إن لموقع الموصل أثره المهم على نمو المدينة وتوسع حجمها، واستمرارها في جذب الناس إليها، وما شهدته من توسع عمراني وازدهار اقتصادي، وهي المعروفة بأنها من الأقاليم الواسعة الخيرات، الوفيرة بالنعم والموارد والامكانات المتنوعة (عبيد، ٢٠٠٢، ٥٢).

إن تطور النشاط الاقتصادي في الموصل طيلة العصر العباسي كان واضحا تصدره النشاط الزراعي الذي عرفته المدينة ورساتيقها ونواحيها، فتميزت بأنها من الأقاليم ذات الإنتاج الزراعي الوفير، فتنوعت محاصيلها وغلاتها وكانت

ISSN. 1815-8854

الموصل بحق "أهراء" مخزن الحبوب في العراق ولاسيما محصولي الحنطة والشعير(ناجي،١٩٨٦، ص٣٣٨). فضلا عن أشجار الثمار والفواكه والخضراوات وبقية المحاصيل الزراعية الأخرى (الازدي، ١٩٧٦،ص ٢١٠؛ ابن حوقل، ١٩٨١،ص ١٩٦-١٩٨؛قدامة، ١٩٨١، ص ١٨٣؛ المقدسي، ١٩٠٦، ص، ١٤٥؛ اشتور، ١٩٨٥، ص ٥٥) ، ويكفينا دليلاً واحداً لمعرفة قوة ازدهار الحياة الزراعية من خلال قراءة واردات جباية الخراج فيها، فقد حصلت الموصل على مرتبة متقدمة من الأقاليم الغنية (ابن الفقيه، ١٩٠٦، ص١٣٢؛ الازدي،١٩٧٦، ص ٢١٠).

وانعكس ذلك على مستوى المعيشة للناس، ورخص الأسعار فيها مقارنة بأقاليم الخلافة الأخرى فضخت الموصل فائض إنتاجها الزراعي الى أسواقها المحلية، لتلبية حاجة سكانها(قدامة، ١٩٨١،ص١٦٧) ومدت أقاليم أخرى بما فاض منه عن حاجتها بخاصة العاصمة بغداد التي أعنتها أوقات الشدة والأزمات وغلاء الأسعار(عبيد، ١٩٩٨، ص،٨)، ووصلت سلعها الزراعية الى البصرة أحيانا(المقدسي، ١٩٠٦ن ص، ١٣٨؛ مسكويه، د.ت.، ج/٢، ص، ٩١)، فضلا عن تجهيزها بالمؤن لمعظم الحملات العباسية الكبيرة المتجهة الى الثغور والدولة البيزنطية(الطبري، ١٩٧٩، ج/٩،ص ٢٤٩).

أما ثروتها الحيوانية، فهي الأخرى غنية بها، ومن اشهرها المواشي والأبقار والإبل والخيول الجيدة والبغال، والأسماك وأنواع الطيور والنحل، واستفادت الموصل من النواحي والرساتيق الغنية بمراعيها ومروجها القريبة من المدينة، التي كانت واسعة وفيرة المياه، وبذالك مدت الثروة الحيوانية ومنتجاتها أسواق الموصل، فرخصت الحياة فيها (مؤلف مجهول، ١٩٨٦، ج/٢، ص، ٥٣٧).

أما حرفها وصناعتها، فهي قديمة، إلا أنها وصلت الى درجة من الاتقان والجودة والتنوع ، وكثرة عدد العاملين فيها من الحرفيين وأصحاب المهن الأخرى الذين استفادوا من امكانات المدينة الاقتصادية، وغناها بالمواد الخام ونشاط سكانها، فظهرت الحرف والصناعات المعدنية كالأسلحة والمواد المنزلية، فضلا عن الحرف الزراعية الغذائية المتعلقة بالحبوب والزيوت والمنسوجات القطنية والحريرية والصوفية والصناعات الجلدية والعطور(ابن حوقل، ١٩٨١، ص، ١٩٦،٢٠٥ ؛ وعن مروج الموصل ابن الفقيه، ١٩٠٦، ١٣٢، ١٣٥؛ الازدي، ١٩٧٦، ص ٢١٠). وكان كثرة أهل الحرف والمهن المستقرين في المدينة والقريبين في المدن والقرى المجاورة للموصل ـ كفر عزى، بلد سنجار، الحيال.....الخ(الازدي، ١٩٧٦، ص، ١٦٠؛ ابن الفقيه، ١٩٠٦، ص١٣٥؛ الجاحظ، ١٩٦٦، ص٤٢) قد زودوا المدينة بتلك الصناعات الحرفية، وباعوا سلعها في الموصل بأسعار مناسبة(ابن حوقل، ١٩٨١' ص، ١٩٩).

وكان نصيب النشاط التجاري كبيراً في الموصل، معتمداً على فائض إنتاجها الزراعي والصناعي وخدمها في ذلك موقعها حلقة وصل بين الأقاليم المجاورة وفرضة للأبعد منها، فتحولت الموصل الى بوابة للتجارات وملتقى للتجارة (ابن حوقل، ١٩٨١، ص ١٩٥،١٩٦، ١٩٦، ١٩٨)' وحطت بها القوافل محملة بالسلع والبضائع سالكة الطرق البرية والمائية، ووصلت تجارتها الى بغداد والبصرة جنوباً، والى الجزيرة وبلاد الشام والثغور غرباً، والى أرمينية وأذربيجان والران وبيزنطة شمالاً وغربا (ياقوت الحموي، د.ت.، مج/ ٥، ص ٢٢٣). وحوت أسواق الموصل وخاناتها أنواع السلع والبضائع

ISSN. 1815-8854

المتنوعة، وينطبق قول ياقوت الحموي فيها (ابن حوقل،١٩٨١، ص، ١٩٥)' وان كان متأخرا في زمانه: "قّل ما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان، إلا ووجد فيها ".

واشتهرت الموصل ورساتيقها ونواحيها بنشاط حركتها التجارية الواسعة، فعرفت برخص أسعارها وكثرة أسواقها، ووفرة النشاطات الخدمية فيها، ومعاملة سكانها الحسنة للتجارة الغرباء، فانتعشت تجارتها(ابن حوقل، ١٩٨١، ص ١٩٥)، ماعدا سنوات قليلة، تعرضت فيها التجارة الى مصاعب مؤقتة وأسواقها الى الكساد كما مر.

ثانياً: أسواق الموصل بين التطور والتوسع

تعد الأسواق "معياراً ودليلاً عن حجم المدينة وأهميتها " (الازدي، ١٩٧٦، ص ١٤٠) وانعكاساً لنشاطها الاقتصادي وتنوعه، ووصفت الموصل في العصر العباسي الأول بأنها " أهلة بالأسواق " وهي الغنية بخيراتها الزراعية والحيوانية ومنتجاتها الحرفية، والمشهورة بحركتها التجارية النشيطة، ولأجل الإطلاع على أسواقها وتخصصها وتوزيعها وتوسعها، لابد من تتبع أوضاع الأسواق، وما حل بها من تطورات وتغيرات أثرت في تركيبها وتوزيعها في المدينة.

لا يمكن أن نتصور ترتيباً ثابتاً للأسواق في المدينة،إلا أنها حافظت بقدر أو بأخر على أوضاعها الاقتصادية، ولاسيما في بداية الخلافة العباسية، على ما كانت عليه نهاية العصر الأموي، من حيث الموقع والمسميات، وانعكس توزيع الأسواق والحوانيت على مسميات الأحياء والدروب، ولا تتوفر معلومات كافية عنها سوى إشارات متفرقة أوردها مؤرخها الازدي(الدوري، ١٩٩٩،ص ١٥٤). فقد أشار الى أحدث سنة ١٠٦هـ/٧٢٣م، وعن بناء قصر الحر بن يوسف " المنقوشة " التي امتدت من سوق القتابين الى الشارع المعروف بالشعارين الى سوق الأربعاء الى سوق الحشيش، فكانت معظم الأسواق في مكان معلوم من المدينة، لكن الذي حصل، إن أسواق الموصل قد تغير مكانها وامتدادها وانتشارها، فتعددت ونمت واتسعت فازدهرت عمرانياً وتجارياً في العصر العباسي، وان كانت السنوات الأولى من خلافة العباسيين، قد الحق في أسواقها الضرر والخراب في سنة ١٣٣هـ/٧٥١م بعد ثورة أهاليها ضد الوالي محمد بن صول، والتي انتهت بخراب الأسواق والعمارات، وما حل بها من اضطراب، اثر في حياتها الاقتصادية مدة ثلاث سنوات حتى سنة ١٣٥هـ/ ٧٥٣م(الازدي، ١٩٧٦، ص ٢٤).

حافضت أسواق الموصل على هيكليتها وسارت على نمطية الأسواق الأموية التي انتشرت في معظم المدن الاسلامية، إلا في حالة واحدة، هي إن تسمية الأسواق كانت بمسميات محلية أو أن بناءها اعتمد على المواد المحلية المتوفرة فيها(الازدي، ١٩٧٦، ص، ١٥٢). وأعاد الوالي إسماعيل بن علي سنة ١٣٥هـ/٧٥٣م، اعمار الموصل وعماراتها بعد حصوله على موافقة الخليفة أبي جعفر المنصور، بصرف موارد جبايتها وخراجها على النواحي العمرانية، وتطوير المدينة والإحسان الى أهلها(عثمان، ١٩٨٨،ص٢٥٢).

وكان موضع أسواق الموصل الرئيسة أول الأمر حول مسجدها الجامع، حالها حال المدن الاسلامية الأولى في سوق الداخل، ونقل منها تلك القائمة حول المسجد، من مكانها سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٥م الى مقبرة أهل الموصل، في حين نقلت المقبرة الى الصحراء خارج الدروب، وامتدت بالأخيرة أسواق سميت بأسماء تلك الدروب(الازدي،١٩٧٦، ص،

ISSN. 1815-8854

١٧٣). وبنى الوالي إسماعيل، المسجد المعروف بابي حاضر "مؤذن " في وسط الأسواق القديمة، ونقلت أسواق عديدة الى الدروب التي سميت بأسماء الحرفين العاملين فيها، كدرب الشعار يين، درب القصابين، درب البزازين، درب الدباغين، الحشاشين، الجصاصين " الجصاصة " الصباغين، الحاكة دار الحواكين، الدواب " الغنم "، الطعام، الجسر، وجاءت تلك التغيرات في أماكن الأسواق بسبب عناية الوالي بالمدينة وتوسعها(الازدي، ١٩٧٦، ص، ١٦٦-١٦٧). وحصل تغير أخر في أسواق الموصل سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م، بتحويل سوق الحشاشين الى خان (الازدي، ١٩٧٦، ص، ١٥٦،١٥٧، ١٦٦)، سمي باسم إبراهيم بن يحيى وعرف أيضا بخان سوق الحشاشين، ويعني ذلك توسع الحركة التجارية، وتحويل أماكن أو بعينها الى مخازن للتجارات، فأصبحت ملتقى التجارة وأقامتهم(الازدي، ١٩٧٦، ص، ٢٢٩) ، وبعد عشر سنوات في سنة ١٦٧هـ/٧٨٤م، أصدر الخليفة المهدي أوامره الى والي الموصل بتوسيع المسجد الجامع فزاد فيه الصفاف الدائرة بالصحن، مستغلاً مواضع أسواق بعينها ويقول عن ذلك الازدي(عبيد، ١٩٩٨، ص ٨) ؛ إن الصفاف كانت حوانيت للمسجد وسوقاً لأهالي المدينة مما يلي سوق الداخل " السوق الرئيس أو الجامعة " والتي كانت للبزازين، وفيما يلي باب جابر للسراجين، وما يلي دبر القبلة للسقط ومواضع للطبخ التي كان يطبخ للناس فيها في شهر رمضان وتوزع خيراً وأجراً للناس والفقراء، وسوق الطعام هذه تشابه أسواق الطعام الأخرى التي عرفتها بغداد ومدن الخلافة الأخرى(الازدي،١٩٧٦، ص، ٢٤٨).

ويبدو أن موضع سوق الداخل لم يطرأ عليه تغيير ملحوظ في الحقب التاريخية اللاحقة، لأنه السوق الجامع أو الرئيس للمدينة، وهو من الأسواق الثابتة الدائمة، وضم أنواع السلع والبضائع كافة، ويقع في قلب المدينة، وقريباً من المسجد الجامع، وتميز السوق بنشاطه التجاري الواسع، ورخص أسعار سلعه، وقربه من الخانات والمخازن والمرافق الخدمية الأخرى في المدينة(حسن، ١٩٦٦، ج/٣، صن ٤٢٥) ويمكن الاستدلال من معلومات الازدي(الازدي، ١٩٧٦، ص١٢٤٠،١٦٦، ٣٦٣) بأن أسواق الموصل قد مرت بتطورات عديدة، شملت نقلها من أماكنها أو تنظيم بنائها، وانتشارها في أكثر من موضع، مما يعني ازدهارها التجاري، في حين حافظت السوق الداخل على موضعها كما مر، أما الأسواق المستحدثة، فإنها حصلت في نقل عدد من الحوانيت والأسواق الصغيرة من مركز المدينة، ولأسباب سياسية واقتصادية نظراً للتوسع العمراني الذي عاشته مدينة الموصل، فظهرت أسواق وحوانيت أخرى في أحياء المدينة، وحملت أسماء اشتقت من أسماء الحرف أو المواقع أو التخصص، فهناك سوق الجسر الذي احرقه الخوارج سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م (الازدي،١٩٧٦، ص، ٢٠٤)، وسوق الدواب " الغنم "، وسوق الحشيش، والطعام، الاساكفة، وسوق الأربعاء الخاص بالفلاحين القادمين من نواحي ورساتيق المدينة، وهم يحملون سلعهم وبضائعهم في يوم الأربعاء، ليبيعوها في الحوانيت العديد (الازدي، ١٩٧٦، ص ٢٠٤) ، المنتشرة في السوق، وكان سوق الأربعاء واسعاً، يقع في وسط المدينة وفي الساحة الفسيحة داخل القلعة، ويقام يوم الأربعاء، ولذلك سمي بهذا الاسم((الازدي،١٩٧٦، ص، ٢٤، ٣٣؛ ابن حوقل، ١٩٨١، ص١٩٦).

ISSN. 1815-8854

ووصفت أسواق الموصل ومحلاتها التجارية، بأنها كانت واسعة،كثيرة الخيرات، ومتخصصة، وكان بناؤها بالحجارة ومسقف البعض منها(المقدسي، ١٩٠٦، صن ١٣٨؛ ابن جبير، ١٩٨١، ص، ١٩٨١، ص٢٣٥؛ الدوري ن ١٩٩٩، ص ١٣٢) وعن سوق الاربعاء فانه كان موجودا من العصر الاموي فقد ورد في احداث سنة ١٠٦هـ (الازدي، ١٩٧٦، ص، ٢٤) . ويغلب على أصحاب الحرف والمهن، أنهم كانوا يجتمعون معاً في موضع واحد، مكونين سوقاً فرعية صغيرة داخل السوق الكبير، مثل العطارين، البزازين، القصابين، الدباغين....الخ (ابن حوقل، ١٩٨١، ص، ١٩٤).

تنوعت أسواق الموصل بحسب حجمها وأنواع سلعها وطبيعة خدماتها التجارية، فمنها الأسواق السابقة، فضلا عن سويقات في أحيائها، ويشار الى امتداد أسواق وحرف أخرى على الأبواب الرئيسة في المدينة(الثعالبي، ١٩٦٣،ج/ ٢، ص، ١٧٩ ؛ ابن الاثير، ١٩٦٩،ج/٥، ص١٣٢) والواصلة الى مركز المدينة، وتميزت تلك الأسواق بأنها حوانيت ودور الحرفيين المتدرجة في مواضعها، والتي يصعب التمييز فيها بين الحرفة والتجارة " السوق لان صانع البضاعة يبيعها للمستهلك بصورة مباشرة في حانوته، وعن ابواب الموصل (الازدي، ١٩٧٦، ص١٣٢،٩٢، ٣٠٨؛ المقدسي، ١٩٠٦، ١٣٨؛ الديوجي، ١٩٨٢، ٣٥؛ الديوجي، ١٩٥٨، ٦٦).

وتميزت أسواق الموصل، بأنها أسواق دائمية لعرض السلع والبضائع طيلة أيام السنة، وغناها بالسلع والبضائع، ووصفت بأنها أسواق بسيطة من الناحية الاقتصادية في طريقة التعامل، لان زبائنها كانوا من سكان المدينة المحليين، ومن الفلاحين والتجار القادمين إليها من النواحي والأقاليم المجاورة (الازدي، ١٩٧٦، ص ١٦٦-١٦٧؛ المقدسي، ١٩٠٦،صن ١٣٨)، وظهر في المدينة نشاط تجاري من نوع أخر ؛ قام به التجار المتجولون الذين نقلوا سلعهم وبضائعهم لتصريفها الى المستهلكين مباشرة، واسهم ذلك النشاط بانتعاش وتحريك الأسواق الدائمية التي عدت مخازن، لاعتماد المتجولين عليها أساسا (عبيد، ١٩٩٨، ص٨) .

ووصفت أسواق الموصل بالسلعة، مساحة ونشاطاً، وبان مساحتها وحجمها كانا واسعين، وتعددت الحوانيت والدكاكين، فهذا ابن حوقل(١٩٨١،ص١٩٥) يقول عنها : "كان بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة، وما يكون في السوق، المائة حانوت وزائد ". ويثني المقدسي (١٩٠٦،ص، ١٣٨) على أسواق الموصل التي كان أكثرها مسقوفاً.

ثالثا :تنظيم الأسواق وتخصصها

عرفت أسواق مدينة الموصل بأنها كانت منتظمة، وتم توزيعها على حسب التخصص، وهنا يظهر سبقها لكثير من المدن العربية الاسلامية الأخرى في هذا المجال، فكان كل سوق يضم نوعاً من الحرف والمهن والسلع المعروضة فيه، وظاهرة التخصص هي من سمات الأسواق التجارية في معظم المدن الاسلامية الكبرى(عبيد، ١٩٩٨، ص،٧-٨). ولدينا إشارات متواضعة عن أسواق الموصل المتخصصة ببيع سلعها وبضائعها، وبنوع من التوزيع المكاني لها، فهذه أسواق العطور التي تقع بالقرب من المسجد الجامع، تجاورها أسواق البزازين، وقربها سوق الطعام، ثم سوق الشعارين والقتابين، ويظهر

ISSN. 1815-8854

الاساكفة والدباغين والسراجين والقصابين وأخيراً الجصاصين، وأبعدها سوق الدواب والحشاشين(الازدي، ١٩٧٦،ص ١٦٦-١٦٧؛ عبيد، ١٩٩٨، ص، ٩).

وكانت تلك الأسواق، عبارة عن حوانيت متراصة، شبيهة كل الشبه بأسواق الموصل القديمة التي نراها اليوم في السراي والميدان، وتتميز بالدكاكين المتخصصة بأسواقها، ويؤشر التوزيع المكاني لها قاعدة دفع الضرر(الكبيسي، ١٩٨٩، ص،١١٧، عثمان، ١٩٨٩،ص، ٢٥٥). ووصفت بأنها حسنة كثيرة الخيرات(الازدي، ١٩٧٦، ص، ٢٤٨،٣٦٣؛ ابن حوقل، ١٩٨١، ص، ١٩٥). ويتجه التاجر والمشتري الى السوق الرئيس أو السوق الذي يحوي السلع التي يحتاجها حسب توزيعها وتخصصها، فمن يريد التبضع من البزازين عليه التوجه الى سوق البزازين، ليجد أنواع الأقمشة أو المنسوجات الصوفية أو القطنية أو الحريرية، ومن يريد بيع مواشيه عليه الذهاب الى سوق الدواب " الغنم "، وبذلك يجد في كل سوق السلعة والمعروضة أو المتوفرة في موضعها(الكبيسي، ١٩٨٩، ص، ١٣،يعقوب ، ١٩٨٠، ص، ٤٥).

كانت الأسواق الثابتة الدائمة في إطارها المكاني المعروف، وهي رخيصة الأسعار، وظهر نمط أخر من الأسواق التي تنشط في المواسم، فهناك السنوية الموسمية(الكبيسي، ١٩٨٩، ١٣). والأسواق اليومية الثابتة، والأسواق الأسبوعية " الأربعاء " في الموصل و"الأحد "في رستاق المرج شرق الموصل . فيحضرها الناس من النواحي والرساتيق القريبة (الازدي، ١٩٧٦، ص، ١٥٧). وظهرت أسواق في المدن التابعة للموصل بخاصة في بلد، سنجار، الحيال، كفر عزى ورساتيق المرج وغيرها، ونقلت بعض سلعها من مخازن الموصل وتجارها أو السلع والبضائع المحلية في تلك النواحي(ابن حوقل، ١٩٨١،ص، ١٩٥-١٩٨،١٩٦؛ الازدي، ١٩٧٦،ص، ٣٧٢؛ ياقوت الحموي،د.ت.،ص مج/٢،ص ٢٢؛ ٣٥، مج/٤، ص، ٥٣).

١. الأسعار

تتأثر الأسعار للسلع و البضائع بطبيعة الحركة التجارية وازدهارها الأسواق، وبأحوال وظروف المدينة الاقتصادية، إلا إن الأسعار لم تكن ثابتة للسلع والبضائع٠ابن حوقل، ١٩٨١، صن ١٩٩،١٩٦) . وتتوقف على جملة عوامل منها، عروض السلع والبضائع من الوفرة والندرة . العرض والطلب . وطبيعة السلعة، هل هي ضرورية ام كمالية، ومستوى معيشة الناس في المدينة ، فضلا عن أمر غاية في الأهمية، هي إن الأسعار لم تكن ثابتة أيضا للسلعة الواحدة طيلة أيام السنة(اشتور، ١٩٨٥، ص، ١١١-١١٢). فهي تختلف من موسم لأخر داخل المدينة وخارجها وهامش الربح المضاف إليها، وما يضاف إليها من من نقل وضرائب، كما إن اختلاف السعر مرتبطة بالسلعة ذاتها، وشكل البيع بالمفرد ام بالجملة(عبيد،١٩٩٨، ص، ٩). وهناك مقولة تنطبق على السلع الزراعية" إن السعر تحت المنجل "كما يقول الثعالبي(١٢٩٣هـ، ص، ٧٠).

وعرفت الموصل بأنها رخيصة الأسعار، وان أسعارها تميزت بالصلاح، فجذبت الناس برخص ميرها(ابن حوقل، ١٩٨١، ص، ١٩٥) ، وتكاد تكون معلوماتنا عن الأسعار قليلة من معظم الأقاليم عامة، ومن الموصل بخاصة، إلا إن القياس للأسعار هو الطعام والملابس، فقد كان سعر الحبوب رخيصاً وفي مقدمتها الحنطة في العصر العباسي الأول،

ISSN. 1815-8854

لأسباب ارتبطت بمساحة الأراضي المزروعة وضريبة الخراج العالية وتزايد سكان المدينة، وحسب رواية الازدي (١٩٧٦، ص،١٥٧)، فان سعر جريب الحنطة " القمح " في عهد الخليفة هارون الرشيد ١٧٠_١٩٣ هـ / ٨١٣_٨٣٣م كان ثلاثين درهماً، في حين كان سعر الشعير بعشرين درهماً، وتعد الموصل ارخص من بغداد التي كان سعر جريب الحنطة فيها في عهد المأمون ١٩٨.٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م(قدامة، ١٩٨١، ص، ١٧٦) خمسة وثلاثين درهماً والشعير ثلثي سعر الحنطة وتأتي رواية مجهول(١٩٨٦، ص، ٢٩) انه في سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م بلغ سعر حمل الحنطة خمسة وثلاثين درهماً في أقاليم الخلافة كافة شرقاً وغرباً، لنقص كمية الحنطة بسبب احتباس المطر، وكانت تلك الأسعار هي المباعة للجملة، ولا نعرف سعر المفرد، لإضافة الأرباح والضرائب والنقل،وقد وصل سعر جريب الحنطة الى خمسين درهماً في سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م (الازدي، ١٩٧٦، ص،١٥٧) ثم تذبذب السعر فرخص الجريب ورخص معه الطعام بحيث وصل سعر متدني، ثم عاد وارتفع سنة ٢٠٧هـ/٨٢٣م، ليصل الى مائة وعشرين درهماً بسبب تعرض الموصل ورساتيقها الى انحسار المطر وظهور المجاعة(مجهول، ١٩٨٦، ٢٩ ؛ عبيد، سياسة الخلافة، ٢٠١٩، ٣٩-٤٠) لكنه لم يدم طويلاً، لأن الغلاء كان عاماً في مدن العراق كلها . بغداد، البصرة، الكوفة، والموصل، وعاد للارتفاع مرة أخرى سنة ٢١٦هـ /٨٣١م لأسباب طبيعية وتعرض أراضي الخلافة للبرد القارص والشتاء الصعب، وتقلب المناخ ونقص الأراضي الزراعية،إلا أن هذا السعر المرتفع نسبياً كان متقارباً مع السعر العالمي للحنطة وقتذاك (الازدي، ١٩٧٦، ص، ٣٤٠-٣٦٣).

أما السلع الأخرى، فقد وصفت الموصل وأسواقها بالرخص والسعة وكثرة الخيرات، وكان إنتاجها الزراعي والحرفي واسعاً، فرخصت أسواقها، فبيع ثوب الحرير بستين درهماً سنة ١٥٨هـ /٧٧٤م(الازدي، ١٩٧٦، ص، ٣٦٢-٣٦٣). وسعر القميص في سنة ٢٠٤هـ /٨١٩م بدينارين فقط(الازدي، ١٩٧٦، ص، ٤٠٦). أما أسعار منتجاتها الزراعية والحيوانية فأنها وصفت بالرخيصة، وبخاصة الزيوت والألبان ومشتقاتها واللحوم والأصواف والجلود والخضراوات والفواكه(الازدي، ١٩٧٦، ص، ٣٥٥).

ويمكن القول، إن أسعار السلع والبضائع في أسواق الموصل كانت رخيصة، وإنها هي التي قررت أسعار بعض السلع والبضائع على مستوى مدن العراق وبخاصة أسعار الحنطة والشعير والمنسوجات الحريرية (ابن حوقل، ١٩٨١، ص، ١٩٩).

٢. الفنادق والخانات :

من معالم الموصل العمرانية والتجارية، والتي تأثرت بالأسواق وارتبطت بها في العصر العباسي الأول، بناء الفنادق والخانات داخل المدينة وخارجها، وبخاصة بعد سنة ١٣٥هـ/٧٥٣م، وقد جذبت إليها التجار والمتبضعين الذين أقاموا فيها، أولئك المسافرين من التجار القادمين من الأقاليم المجاورة، وما بناء تلك المرافق الخدمية إلا دليل على نمو الحركة التجارية وازدهار الأسواق، فابن حوقل (١٩٨١،ص، ١٩٥) يقول عن الموصل " وفيها من الفنادق " وهي مخازن السلع والبضائع ومجمع التجار، ومن اشهر تلك الفنادق، دار الحواكين . الحاكة، الذي يقع بالقرب من سوق الحشيش القديم (الازدي، ١٩٧٦، ص، ٢٩٩)، وقد أسهمت تلك الفنادق بشكل أو بأخر على توفير الأمان والراحة للقوافل التجارية

ISSN. 1815-8854

التي حملت سلعها الى الموصل، وكان وقوع الفنادق والخانات بالقرب من الأسواق ومخازن التجارات والمنشات الضرورية والمساجد وسوق الطعام، قد وفر للتجار مجالاً واسعاً للنشاط التجاري.

وانشيء فندق أخر، عرف بفندق إسماعيل نسبة الى والي الموصل إسماعيل بن علي العباسي ١٣٥هـ /٧٥٣م ويقع بالقرب من سوق الطعام(الازدي،١٩٧٦، ص، ٢٥٢) وأقيم خان أخر في سنة ١٥٨هـ /٧٧٤م سمي بخان إبراهيم، وعرف فيما بعد بعبد الرحمن بن موسى، ويقع في سوق الحشيش القديم(الازدي، ١٩٧٦، ص، ٢٥١). وكان نصيب الموصل من الخانات والفنادق ودور السبيل كبيراً، قياسا الى المدن الأخرى ماعدا بغداد، ولم يقتصر بناء تلك الخانات والفنادق على مركز مدينة الموصل، بل امتد على الطرق التجارية البرية التي ربطت الموصل بأقاليم الخلافة الأخرى، ويقول ابن حوقل(١٩٨١، ص، ١٩٥) عن ذلك " وخارجها فنادق ".

وتنقصنا المعلومات الدقيقة عن طبيعة بناء تلك الخانات والفنادق من حيث البناء، إلا أنها لا تختلف كثيرا عن تلك التي ظهرت لاحقاً في المدينة، فهي تتكون من جناحين أو طابقين، احدهما للتجار ولبضائعهم وأقامتهم، والأخر لحيواناتهم، وتتوافر في الخان كل مستلزمات الراحة والأمان والخدمة(حسن، ١٩٦٦، ج/ ٣/٣٣٠).

وانتعشت الحركة التجارية في مواسم الأسواق المزدهرة وقت إنتاج المحاصيل الزراعية والحيوانية، وما تمده بها رساتيقها ونواحيها، فضلا عن مواسم التبضع السنوية والموسمية في مناسبات وأوقات الأعياد، كما إن القوافل التجارية القادمة الى الموصل من الأقاليم المجاورة كانت دائمة وطيلة أيام السنة مما أدى الى الاستفادة الواسعة من الفنادق والخانات بشكل واضح(عبيد، ١٩٩٨، ص، ٩).

رابعا :الخاتمة

يتضح مما سبق :

١. ان مدينة الموصل كانت من المدن العظام التي لقيت اهتمام الخلافة العباسية فيها لما لها من اهمية سياسية واقتصادية، وكان لموقعها على الطرق التجارية وازدها زراعتها وصناعتها وتجارتها انعكاس على تطور اسواقها.
٢. شهدت اسواق الموصل توسعا وتطورا من الناحية المكانية والاقتصادية،وتعددت اسواقها وتخصصت بأنواع السلع والبضائع، وتدرجت في مواقها تبعا لنوع السلعة.
٣. اشتهرت اسواق الموصل بكثرتها الثابتة والموسمية، وعرفت برخص اسعارها وازدهار حركتها التجارية.
٤. رافقت الاسواق منشآت مدنية لخدمة التجار كالفنادق والخانات.

الهوامش والمصادر

١. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين(ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، (١٩٦٩) : الكامل في التاريخ، بيروت، دار التراث.
٢. البلاذري، احمد بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، (١٩٥٦) : فتوح البلدان ن تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، النهضة العربية.

ISSN. 1815-8854

٣. الازدي، ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس(ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)،(١٩٧٦): تاريخ الموصل تحقيق علي حبيبة، القاهرة، لجنة التراث.

٤. اشتور، أ (١٩٨٥): التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، دمشق، دار قتيبة.

٥. ( )الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد(٤٢٩هـ/١٣٨م)، (١٢٩٣هـ) : خاص الخاص، تونس.

٦. الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (١٩٦٣)، يتيمة الدهر، القاهرة .

٧. الجاحظ، عمر بن بحر((ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)،(١٩٦٦) : كتاب التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب تونس، دار الكتاب الجديد.

٨. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد(ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)(١٩٨١) : رحلة ابن جبير، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

٩. حسن، حسن إبراهيم (١٩٦٦) : تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي والديني، القاهرة، دار النهضة.

١٠. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي(ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) (١٩٨١) : صورة الأرض، بيروت، مكتبة الحياة.

١١. الدوري، عبد العزيز(١٩٩٩) : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤.

١٢. الديوه جي، سعيد(١٩٥٨)، سور الموصل، في كتاب تاريخ الموصل.

١٣. الديوه جي، سعيد(١٩٨٢) : بحث في تراث الموصل، ١٩٨٢،

١٤. السامرائي، خليل واخرون (١٩٨٨) : تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، الموصل، جامعة الموصل،.

١٥. السلمان، عبد الماجود احمد (١٩٨٦) : الموصل في العصر الاموي، الموصل، جامعة الموصل.

١٦. عبيد، طه خضر (١٩٩٨) : نظرة في اقتصاديا ت الموصل في العصر العباسي الاول، بحث لمركز دراسات الموصل.

١٧. عبيد، طه خضر (٢٠٠٢) : سياسة العباسيين في تعيين ولاة الموصل (١٣٢-٢٢٧هـ) مجلة اوراق موصلية، العدد (٣).

١٨. عبيد، طه خضر (٢٠١٩) : سياسة الخلافة العباسية للمحافظة على استقرار الحنطة في العراق (١٣٢-٢٦١هـ/٧٤٩-٨٧٤م) مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخية، المجلد (٦)، العدد(١٦)، السنة السادسة.

١٩. عثمان، محمد عبد الستار (١٩٨٨): المدينة الاسلامية، الكويت،سلسلة عالم المعرفة (١٢٨).

٢٠. ابن الفقيه،ابو بكر احمد بن ابراهيم (ت٣٦٥هـم٩٥١م) (١٩٠٦): مختصر كتاب البلدان، نشر دي خويه، ليدن، بريل.

ISSN. 1815-8854

٢١. قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م) (١٩٨١): الخراج وصناعة الكتابة ن شرح وتعليق محمد حسن الزبيدي ن بغداد ن دار الرشيد.

٢٢. الكبيسي، حمدان عبد المجيد (١٩٨٩) : اسواق العرب التجارية، بغداد، دار الشؤون الثقافية.

٢٣. ناجي، عبد الجبار (١٩٨٦) دراسات في المدينة الاسلامية، البصرة جامعة البصرة.

٢٤. مسكويه ن ابو علي احمد بن محمد(ت ٤٢١هـ/ ١٠٢٠م) (د. ت.) تجارب الامم، بغداد مكتبة المثنى بالاوفسيت.

٢٥. المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩١م)(١٩٠٦) : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، نشر دي خويه، ليدن، بريل.

٢٦. مؤلف مجهول (١٢٤٣م): (١٩٨٦) : تاريخ الرهاوي، عربه عن السريانية الاب البير ابونا، بغداد، مكتبة شفيق.

٢٧. ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) (د.ت) : معجم البلدان ن بيروت، دار صادر.

٢٨. يعقوب، عادل ابراهيم (١٩٨٠) التاريخ الاقتصادي للشرق الاوسط، الموسوعة التاريخية، بغداد.

مجلة دراسات موصلية

مجلة دورية علمية محكمة ، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية

ISSN. 1815-8854